كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي (*)

- ٢ -

(ورقة ١٣٨ ب) ومن كلامه (= ابن باجّة) رضي الله عنه

في النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

والله الموفق والمُعين

< الفصل الأول في النفس >

الأجسام منها طبيعية ومنها صناعية (١) . فالصناعية كالكرسي والسرير ، فهذه لا توجد إلا عن إرادة (٢) . والطبيعية كالحجر والنخلة والفرس ، وهذه كلها

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص (٩٦ - ١١١) من هذه المجلدة .

(١) قارن ابن باجة : المجموعة ، بودليانا ، ورقة ١٨٧ الف : « قال أرسطو ان الموجودات منها ماهي بالطبيعة ، ومنها من قبل أسباب أخر عدة ، أولاها من قبل الطبيعة . . . . وقوله ما وجودها بأسباب أخر ، ولم يقل (المهنة) ، لأن من الأجسام ماهي موجودة بالمهنة وتلك مشهورة ، ومنها ماهي موجودة عن أصناف الحيوان وغير الناطق ، وبيّن أن قواها ليس مهناً فان قيل لها مهن فبالاستعارة كالعسل والشمع الموجودين عن النحل » . وانظر . . . . . Aristotle : Physics III. 192 b 8 ؛ الفارابي : إحصاء العلوم ص ٤٥ ، ميدريد ، وأيضاً فصول المدني (مخطوطة بودليانا Hunt 307) . ورقة ٩٢ ب : الأجسام منها صناعية ومنها طبيعية ، والصناعية مثل السرير والسيف والزجاج وأشباه ذلك ، والطبيعية مثل الإنسان وسائر الحيوانات ؛ ابن رشد : رسائل ، حيدر آباد ، ١٩٤٧ . ص ١٢ .

(٢) الأجسام الصناعية ليس فيها قوة الحركة أو السكون طبعاً ، ابن باجة (ورقة ٩٢ الف) ... فان السرير لايتحرك بما هو سرير أصلاً ، ولا أيضاً يتحرك الخشب بقوة فيه إلى أن يصير سريراً ولا يتحرك بقوة يفيده إياها السرير إلى أن يكون سريراً ولا يتحرك الخشب أيضاً بقوة يفيده إياها شيء آخر بل إنما يتحرك مادام المحرك له موجوداً وهو متناهٍ وهذا المحرك هو صناعة وليست بطبيعة .
قارن أرسطو : Phys. II. i. 192 b 15 — 25 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كائنة وفاسدة [١] .

وقد بيّن أرسطو في الكتب التي كتبها في الأمور العامية [٢] للأمور الطبيعية أن هذه كلها مؤلفة من صورة [٣] ومادة [٤] على ما هي عليه الأجسام الصناعية . وإن نسبة التماسك [٥] في الذهب الى مادة الذهب كنسبة شكل الكرمي إلى الخشب .

والمادة إما أن تكون غير مصورة بالذات على ما تبيّن في الأولى (ورقة ١٣٩ ألف) من السماع الطبيعي [٦] فالمكوّن منها جسم بسيط ، والأجسام

---

(١) قارن ابن باجة : ورقة ٦ ب : « الأجسام الطبيعية إما أن تكون كلها كاينة فاسدة على ما تشاهد في كل نحسة » ؛ وأرسطو : Phys. II. i. 192 b 9 — 14

(٢) لفظ « العامية » يوجد في كتب الفارابي : (مسائل متفرقة ، حيدر آباد ص ٦ ، نشر ديتريصي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophische Abhandlungen. 87 سئل عن الأشياء العامية ، وفي تراجم حنين بن اسحاق (كتاب طياؤس ص ١٩ : الآلام العامية ، نشر بال كراؤس (Paul Kraus) ووالسر (R. Walzer) تحت عنوان (Galeni Compendium Tiamaei Platonis) واستعمله ابن باجة في مواضع : ورقة ١٨٧ ب : وهـذه هي الأمور العامية على الاطلاق للطبيعة ، ورقة ١٩٩ الف : وأما العامية فهي ؛ أما الكندي (راجع رسالة الكندي الفلسفية ، نشر اني ريده ص ٣٨٢) وابن سينا (الشفا : مخطوطة بودليانا Pocock 125 ، ورقة ٢٣ الف ٣) ، وابن رشد (السماع ، حيدر آباد ، ص ٥ و ١٢) يكتبون « العامة » .

(٣) المخطوطة : صور .

(٤) ابن باجة ورقة ٥ ب ، السماع : ولما شرع في هذا الفحص من النظر وجد رسومها (الطبيعة) قريب المأخذ من العلوم المتعارفة ، ووجد العلم بوجودها في الثلاثة التي هي المادة ، والصورة والفاعل بينا . . . . . أما في الأجسام الصناعية فظاهر ، وأما في الطبيعية ففي بعضها يظهر نحواً مّا من الظهور وفي بعضها يخفى كل الخفاء ؛ وأرسطو : Phys. I. 7. 190 b 20

(٥) النص بنفسه ورقة ١٥٣ الف .

(٦) واستدل ابن باجة قائلا (ورقة ٧ الف) : فإنا متى وضعنا المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة إلى مادة وصورة ويمر ذلك إلى غير نهاية . . . وهذا أيضاً شنيع ، بل محال فستنتهي ضرورة إلى مادة غير ذات صورة : قارن أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 8

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

البسيطة [١] على ما تبين في مواضع أخر أربعة : وهي الأرض والماء والهواء والنار . فاما أن تكون المادة ذات صورة فلا يمكن أن تكون بهذه الصفة مادة لجسم طبيعي [٢] غير الأربعة دون أن تختلط بها مادة أخرى . لأن الموجود البسيط اذا تغيّر ، فانه يتغير إما في صورته ، فيكون عنه موجود آخر بسيط مقابل له كالماء ، فإنه يكون عنه الهواء [٣] والأرض ، وإمّا أن يتغير في لواحقه [٤] فيكون ذلك استحالة لا تكوّنا . فمتى كان الموجود البسيط مُزمعا [٥] أن يكون عنه موجود مركب لزم ضرورة أن يختلط به غير واحد . وكذلك يكون من الأجسام الصناعية ما يكون عن موجود واحد مصور لأن أنواع الصناعة لواحق الأجسام الطبيعية إلا أنها لا يقبلها ذاك الموضوع إلاّ من الصانع [٦] .

(١) قارن أرسطو De Caelo III. 1. 298 a 29 .

(٢) « وجسم طبيعي » ، أراد ابن باجة جسماً مركباً من صورة ومادة ، السماع ورقة ٨ الف : . . . بوجوده الجسم الطبيعي ، ووجوده يتم بوجود المادة والصورة ، وكل واحد منها طبيعة . . . . . فالطبيعة أخلق بالصورة من المادة ، إلا أنها لما لم تكن دون المادة لم توجد بالفعل ، فالمادة معاضدة لها ، فالمادة أيضاً طبيعة ، والمجتمع منها هو الجسم الطبيعي ؛ وأرسطو يدعو الاسطقسات الأربعة الأجسام الطبيعية الاولية : Phys. IV. 1. 208 b 8 .

(٣) المخطوطة : هواء .

(٤) يفرق ابن باجة بين التغير في صورة الجسم الذي يسميه « التكون » (انظر النص) وبين التغير في الصفات ويدعوه « استحالة » (السماع ورقة ١٦ ب : والحركة في الكيف يقال لها استحالة ، وأيضاً النص . . . .) . وقد فصّل في «الكون والفساد» (ورقة ٨٠ ب) بان نكون استحالة أم لا قائلاً : « وبالجملة فمن جعل الموجود واحداً فهو يرى ضرورة أن التكون استحالة . . . . وأما من جعل الموجود أكثر من واحد بالنوع . . . . فهو يضع بالضرورة أن التكون غير الاستحالة » .

(٥) راجع أرسطو : Arist. Phys. i. 7. 190 b 18 .

(٦) هذا مبني على ما قاله أرسطو : « For the helmsman knows and prescribes what sort of form a helm should have, the other form what wood should be made and by means of what operations. In the products of art, however, we make the material with a view to the function, whereas in the products fonature the matter is there all along » . (Phys. ii. 2. 194 b 5)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والأجسام الصناعية منها ما يقبله بأمور تكون كلها موجودة عن الصناعة صرفاً كالكرسي ، فإن الخشب يقبل الصورة عن الصناعة ، وآلاته أيضاً صناعية . ومنها ما يكون المحرك [١] الأول <فيه> الصناعة [٢] وتكون آلاته [٣] أجساماً طبيعية كالزجاج ، فانه لا يتم وجوده إلاّ بحرارة النار والنار جسم طبيعي . وهذه أصناف : بعضها يكون جميع آلات الصناعة <فيها> أموراً موجودة لا عن إرادة ، وبعضها تكون آلاتها بعضها طبيعية وبعضها صناعية . لكن ما كان آلاته [٤] طبيعية فما الجهة التي يكون بها صناعية ؟

فأقول : إن المحرّك منه بالعرَض ومنه بالذات [٥] ، فقد يحرك بنفسه وقد يحرّك

---

(١) المخطوطة : المتحرك .

(٢) وقد بيّن ابن باجة : (السماع ، ورقة ٣٢ ب) والمحرك الأول يقال على أنحاء : أحدها المحرك الذي يحرك لا بأن يتحرك كالثلج ، يبرد الاناء لا بأنه يتبرد فان الثلج يبرد الإناء والإناء يبرد الماء ، والإناء يبرد ويتبرد معاً والثلج يبرد ولا يتبرد ، وقد يقال على ما يحرك وهو لا يتحـــرك ولا يمكن فيه أن يتحرك إلاّ بالعرض ، وقد يقال على ما يحرّك ولا يتحرك لا بالذات ولا بالعرض . فظاهر أن القول الأول حدّ لانه بين الوجود ، وأما الثاني فانه أيضاً يتبين أنه معنى موجود فان الصناعة تحرك ولا تتحرك ولا يمكن أن تتحرك إلا بالعرض .

(٣) المخطوطة : آلته .

(٤) المخطوطة : آلته .

(٥) هذا التقسيم « للمحرك »مأخوذ من قول أرسطو (راجع Phys. VIII. 5. 256 a 6) ، وابن باجة يذكره مرة بعد أخرى : ورقة ٥٦ ب : « ومنها (من المتوسطات من المحرك) بالذات كاليد التي تحرك المكاز ، ومنها بالعرض فان الأبيض يحرك المكاز . وما بالذات فهي ضرورة متناهية كما بين ذلك في السابعة من هذا الكتاب (السماع الطبيعي) . والمحرك الأول هو الأبعـــد ، فان الأبعد يحرك منفرداً بنفسه ، وأما المتوسطات فمكلها إنما تحرك بالأبعد فالأبعد ، والأبعد هو المحرك الأول » . ورقة ٤٨ الف : إن المحرك والمتحرك بعضها بطريق العرض . . . . المحركة بذاتها . ورقة ٥٠ الف : والمحرك ينفصل بتقابل يخصه وهو أن يحرك بنفسه . . . . وقد يحرك بغيره .

راجع أرسطو : De Gen. i. 7. 324 a 30 sq. .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بتوسط شيء آخر إمّا واحد وإمّا أكثر من واحد ، وهذه الوسائط هي آلات أو كالآلات للمحرك . وأما الصناعة فإنها لا تحرك بذاتها بل تحرّك بآلات [١] . وما يتحرك عن محرّك بهذه الصفة فله أكثر من محرك واحد فيكون له محرك أخير وهو الشيء الذي يلي المتحرك [٢] كالقدوم للخشبة ومنه أو هو الصناعة [٣] . والأخير على ما تبيّن لا يحرك دون الأول ، فأما الأول فإنه يحرك دون الأخير ، فإن الحركة إنما توجد في حين وجودها بحضور تحريك المحرّك الأول . فالمحرّك الأول فاعل للحركة وإليه تنسب [٤] كما تبين في الثامنة .

وكل متحرك يكون المحرك الأول فيه طبيعة فهو طبيعي ، وكل ما يكون المحرّك الأول فيه صناعة فهو صناعيّ [٥] كيف كانت آلاته .

وامّا ان الصناعة قد تتغير فذلك بالعرَض أو بالقصد الثاني ، وقد تبيّن كيف يكون ذلك في الثانية [٦] من السماع [٧] .

---

(١) راجع السماع ورقة ٥٠ الف : إن كل ما ليس بذي نفس فليس محركاً بل هو متحرك منفعل ، وإنما هو محرك باقتران المحرك به .

(٢) السماع ورق ٣٦ الف : وقد ثبت في أقاويلنا في الكون والفساد البرهان على أن الفاعل يلي المنفعل وبإسه . ويمثل ذلك بعينه يمكنه أن يبين أن المحرك يلي المتحرك والذي نريد هنا أن المحرك القريب عندما يبتديء بالحركة يلي المتحرك . راجع الكون . ورقة ٨١ ب : فالمحرك اذا حرك المتحرك فقد ماس هذا المحرك بطبيعة ذلك المتحرك والمتحرك ممسوس . وورقة ٨٢ ب : إن كل متحرك فهو يتلو محركه الأقرب ضرورة . . . . فالمتحرك والمحرك يتماسان . قارن أرسطو : Phys. VII. 2. 243 a 3

(٣) راجع التعليق ٢ . ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ الف .

(٤) راجع السماع ، ورقة ٨٠ الف : فان الإنسان يحرك اليد واليد المكاز ، والمكاز يحرك الحجر ، والمحرك الاول هو الإنسان واليه ينسب الفعل في الحقيقة وهو المستحق للذم والمدح والعقاب والثواب . قارن أرسطو : Phys. VIII 5. 256 a 9 .

(٥) راجع أرسطو : Aristo. Phys. VIII. 4. 254 b 14; II. 1. 193 a 29 .

(٦) المخطوطة : الثامنة .

(٧) إن الصناعة كما ذكر (النص ، س ٢ سطر ١٢) لا تحرك بذاتها بل بآلاتها ، ويبين ابن باجة معنى « القصد الثاني » قائلاً : (ورقة ٩ الف) « فان إنساناً اذا قصد إنساناً ليحاربه فقد قصد ليحارب من يعاونه لكن بالقصد الثاني لا بالأول » والصناعة توجب التغير وتكمل ما تركته الطبيعة ناقصاً . قارن أرسطو : Phys. II. 2. 194 a 36; II. 8. 199 a 15 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ورقة ١٣٩ ب) والصور كيف كانت إمّا أن تكون صناعية أو طبيعية [١] .
والصور بالجملة هي كمالات [٢] الأجسام التي فيها . وليست كمالات فقط ، بل كمالات متمكنة فيها كالملكات . والكمال إذا كان بهذه الحال سمّي استكمالاً . فالصور إذن استكمالات الأجسام ذوات الاستكمالات بالقوة . وهذه الاستكمالات ضروب [٣] : منها ما للموجودات التي فيها تفعل أفعالها دون أن تتحرك بالذات ومنها ما تفعل أفعالها وهي تنفعل .

---

(١) والفرق بين الصور الصناعية والصور الطبيعية ، أن الأولى وإن كانت موجودة في موادها لا تقدر أن تحرك ماهي فيه ولا الغير ، كما أن الطبيعة تقدر على ذلك . راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ ب : « وليس للصور الصناعية وهي الموجودة في موادها قوة على أن تحرك ماهي فيه ولا على أن تحرك غيرها . وهذا هو الفرق بين الصور الصناعية وبين الطبيعية . فان الصور الطبيعية فيها قوى يحرك بها الأجسام ويتحرك بها الأجسام أيضاً على أنهـــا المحركة . قارن أرسطو :
Phys. II. 1. 193 a 30 — 65

(٢) الكمال ، والاستكمال ، وصفه ابن باجة في شرحـــه على السماع الطبيعي ، ورقة ١٥ ب : « ومن الموجودات التي هي أجسام أو في أجسام من جهة أنها أجسام مّا هي محدودة بالطبع كالانسان والفرس ، ومنها ماهي محدودة بعرض وليس لها في أنفسها قدر يخصها ، فالاول لا يمكن أن يوجد فيه شيء بجزء لأن الكمال متى لم يوجد لم يكن ذلك الوجود » . ورقة ١٦ الف : « وأما الذي يبقى فيه المتغير واحداً بعينه فظاهر أن التغير لا يكون في الجوهر فان كان من عدم الى وجود كالتغير من الجهل الى العلم سمي استكمالاً » . ورقة ١٦ ب : « فالكون والفساد ليسا بحركتين وكذلك الاستكمال وهذا ما لم يلتفته أرسطو بل أجراه مجرى الحركة في مكان آخر ، فالحركة اذاً هي لموجود بالكمال ومن وجود بالكمال والى موجود بالكمال » .
وأما أرسطاطاليس فانه يقول إن الحركة هي استكمال المادة ، والنفس كمال الجسم ، انظر :
Phys. III. 1.201 a 10, b 4; 2. 202 b 7; VIII. 1. 251 a 9; Met. XI. 9. 1065 b 16, 33

(٣) ابن باجة تكلم على مراتب الكمال في السماع ، ورقة ٥٢ ب : « فان وجود الشيء في المكان جنس من أجناس الكمال وهو على مراتب : فاولها أن يكون في موضع واحد فقط ولا يبارحه حتى يفسد ، ثم من بعد ذلك أن يتحرك حتى يكون في جميع تلك المواضع في زمان زمان فيكون أبداً بالفعل وبالقوة ، والمرتبة الثالثة أن يتحرك فيها على الاتصال » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما كان كل متحرك فله محرك [١] كانت هذه إمّا أن تتحرك عن محرك خارج عنها ، كأكثر الأجسام الصناعية ، وإمّا أن يكون [٢] محركها فيها . وهذه في الصناعة كالميكانات [٣] التي تحركها لتفعل أفعالها تكون فيها زمانا ، وقد لخصت هذه في العلم المدني [٤] .

واما الطبيعية [٥] فمحركها في جميعها ، والجسم الطبيعي مؤلف من محرك ومتحرك [٦] . وأما الصناعية فإن المحرك فيها خارج عن المتحرك ، وهذا المتحرك مقارن بالعرض .

وأما الطبيعية فليست كذلك . وأما هل يوجد من الطبيعة شيء شبيه بالصناعة ففيه موضع فحص غير أنه يشبه ، إن كان ذلك ، أن يكون بوجه آخر .

والأجسام الطبيعية انما تتحرك الى مواضعها التي لها بالطبع [٧] إذا كانت

---

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٣٠ الف : « وقد تبين في الثامنة أن كل متحرك فله محرك » .

(٢) المخطوطة : ومنها ما يكون .

(٣) يقول ابن باجة في موضع آخر ، السماع ، ورقة ٣٢ ب : « فان هذه الميكانات والاشياء الصناعية التي يخفى محركها يظهر للحس انها تتحرك من قبلها فقع العجب منها » . وأيضاً ورقة ١٣٠ الف « وهذا (المحرك) قد يكون طبيعياً وبذاته وهو كأصناف الحيوان ، وقد يكون صناعياً كالميكانة » . وقد ذكر أرسطو : automatic machines ، انظر: Catapult; De Gen. An . . II 1. 734 b 10: أنظر Politics 1331 a .

(٤) الظاهر أن ابن باجة أشار إلى كتابه في السياسة أو العلم المدني كما يذكره ولكن هذا الكتاب ما وصل إلينا ، وقد ذكره مراراً في كتابه تدبير المتوحد ، قارن ص ٤ ، ٢٩ ، ٥٥ ، (ص : : وقد لخصته في العلم المدني) .

(٥) المخطوطة : الطبيعة .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٥٣ ب : « أما الأجسام الطبيعية فقد تلخص القول فيها وبيّن أن حركتها من غيرها ولذلك لا يمكنها أن تقف بوجه ، وأن الجسم الطبيعي مؤلف من المحرك والمتحرك على جهة تأليف الحدّ لا على جهة التركيب حتى يكون هذا في جزء وهذا في جزء آخر » .

(٧) الأجسام الطبيعية لها مكان بالطبع ، انظر ارسطو : Phys. IV. 1. 208 b 8; VII. 3 253 b 35

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المواضع الخارجة عن الطبع ، فعند ذلك توجد فيها القوة [١] على ما في الطبع فلذلك حركاتها لها . إنما هي تنحو من أنحاء ما [٢] بالعرض . لأن وجودها في مواضع غير طبيعية انما هو لعايق يعوقها ، فإذا زال العايق صارت [٣] الى ما لها بالطبع . فلذلك ظن في هذه أن المحرك هو المتحرك وليس كذلك [٤]. فإن الحجر من جهة أنه بالقوة أسفل ويحرّك من طريق أنه ثقيل فالمتحرك [٥] فيه هو القوة على الأسفل والمحرك [٦] هو الثقل [٧] . فلذلك يتحرك بنحو واحد من الحركة بالطبع الذي فيه .

وليس في المتحرك وجود مضاد للمحرك [٨] إذ المتحرك قوته فقط . وليس

---

(١) القوة يعرفها ابن باجة في ورقة ١٨٩ ب : « القوة تقال على الاستعداد الذي يكون به الشيء كذا وكذا » . وقارن أرسطو : Arist : Met. 12. 1019 a 15 .

(٢) ولشواهد « انحاء ما » راجع النص نفسه (آخر الفصل الثاني « حيوانات ما ») ، السماع ، ورقة ١٥ ب : « أجسام ما » ؛ أيضاً ، ابن سينا : الشفا (مخطوط بودليانا) ورقة ١٨٢ الف : « أو أن يكون الذي يتخيل الوانا ما مشمول العين » ؛ ورقة ١٨٣ ب سطر ٢٢ : سببها اتصالات ما لا يشعر بها .

(٣) المخطوطة : صار .

(٤) قارن ابن باجة ، السماع ورقة ٥٠ الف : « فان المحرك ضرورة يجب أن يباين المتحرك وهذا شيء لا يمكن في الاسطقسات لأنها بسائط ومتشابهة الأجزاء . فقد بان أن كل ما ليس بذي نفس فليس محركاً بل متحرك منفعل وانما هو محرك باقتران المحرك به » . ويقول أرسطو : «So we are left with a mover, and a moved, and a goal of motion » » (Phys. V. I 224 b 6)

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) المخطوطة : المتحرك .

(٧) النص ، ورقة ١٤٣ ب : كالثقل في الحجر فانه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك « .... يحرك حيناً ولا يحرك < حيناً > كالثقل » .

(٨) المخطوطة : للتحرك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كذلك ذوات الأنفس[1] . فان المتحرك ذو صورة له من أجلها فعل ما ، والمحرك إما أن يحرك حركة مضادة <أو> يحركها للطبيعة[2] ، كرفع اليد الى فوق ، والطفر فانه يتحرك به الجسد وهو نقل الى فوق ، فلذلك يحرك النفس بآلة[3] وهو الحار الغريزي أو مايجري مجراه .

(١) فلا تحتاج الى محرك خارج فانهـا تتحرك بذواتها : ابن باجة ، السماع ورقة ٤٨ الف : « والمتحركة بذواتها بعضها من تلقائها وهو الذي لا يحتاج في تحريكه الى آخر غيره كأنواع الحيوان » . ورقه ٥٠ الف : « والصنف الثالث المتحرك من تلقائه وهو يتحرك كالحيوان وهو متحرك عن غيره ولكنه فيه » . أيضاً أرسطو : Phys. VII. 2. 243 a 14; VIII. 4. 254 b 15 .

(٢) فتوجد في المتحركات بذواتهـا حركتان ـ الطبعية والقسرية . راجع ابن باجة ، السماع ورقة ٥٠ الف : « وأيضاً فالمتحركات بذواتها منها ما يتحرك طبعاً ، ومنها ما يتحرك خارجاً عن الطبع وقسراً ، فان حركة الحجر الى فوق هي خارجة عن الطبع ، وقسراً لأنه قد قهر على ما في طبعه ضده » . قارن أرسطو : Phys. VIII. 3. 254 b 20 .

(٣) النفس والروح مترادفان عند العرب ومشتركان عند الفلاسفة . انظر تدبير المتوحد ص ١٨ : والروح يقال في لسان العرب على ما يقال عليه النفس ، ويستعمله المتفلسفون باشتراك . فتارة يريدون به الحار الغريزي الذي هو الآلة النفسانية الأولى ، فلذلك نجد الأطباء يقولون إن الأرواح ثلاثة : روح طبيعي ، وروح حساس ، وروح متحرك ، ويعنون بالطبيعي الغذائي إذ يوقعون الطبيعة في صناعتهم على النفس الغاذية ، ويستعمل على النفس لا من حيث هي نفس بل من حيث نفس محركة ، والنفس والروح اثنان بالقول ، واحد بالموضوع » . السماع ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الغريزي ففيه المحرك الذي لا يتحرك وهذا يحرك الحيوان ، وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه . وإذا ذهب هذا الروح عند موت الحيوان بقيت تلك (المتوسطات) غير متحركة ولا محركة » . الحيوان ورقة ٩٦ الف : « فهناك النفس والآلة الأولى على ما تلخص في الرابعة هي الحرارة الغريزية فحيث ينبوع الحرارة الغريزية فهناك النفس ، والقلب على ما شوهد بالتشريح هو ينبوع الحرارة الغريزية ، فالقلب هو مبدأ الحيوان ، فاما إن النفس حيث الآلة الأولى فإن ذلك قد تبين في الثامنة من السماع » . وأيضـا النص ، ورقة ١٤٥ الف : وهذه الحرارة هي آلة النفس . قارن ارسطو : Arist. De Motu. Animalium. 10. 703 a 10; De Anima II. 4 416 b 29; Parv. Nat. 14 VIII. 474 a 35 et sq.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والصور صنفان : استكمال لجسم طبيعي لا يقترن فيه المحرك بالمتحرك بالذات . ما يتحرك دون آلة بل يتحرك بجملته . ومنها استكمال لجسم طبيعي متحرك بآلات . والأول يقال عليه الطبيعة بخصوص والثاني يقال له نفس (١) .

فالنفس استكمال لجسم طبيعي آلي . والاستكمال (ورقة ١٤٠ ألف) منه أولى (٢) ومنه أخير (٣) . فإن المهندس عندما يعمل الهندسة يسمى مهندسا [على الكمال] الأخير . فاذا هندس كان على كماله الأخير . والنفس هي الاستكمال الأول (٤) . فلذلك هي استكمال أولي بجسم طبيعي آلي . ووجود الجسم ذا نفس هي الحياة ، فكل جسم متنفس حيّ .

(١) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ٨ الف : « وذلك ان الأجسام ما يفعل فعله دون آلات كمو النار وهبوط الحجر وصور أمثال هذه تخص باسم الطبيعة ، ومنها ما يفعل فعله بآلات كاغتذاء النبات وحركة الحيوان ، وصور أمثال هذه الاجسام يقال لها نفس » .

(٢) والكمال الأول ، بالجملة ، هو الذي عنـــد وجوده يستعد الجسم لقبول الصورة من غير أن يتغير بالذات لا بالعرض . راجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب ، والتعليق الآتي .

(٣) لقد أوضح ابن باجة الفرق بين الكمال الأول والأخير في السماع ورقة ٤٩ الف و ب : « وكذلك المهندس عندما ينام أو عندما لا يستعمل علمه بالهندسة فهو مهندس بالقوة على غير هذا الوجه الذي به المتعلم مهندس . فان قوة المتعلم هي إما جهل أو يقترن بها جهل . وإما النائم أو الذاهل عن عمله فليس قوته جهلا ولا مقترنة بجهل بل هو على حال مقابلة للجهل ، فان المهندس النائم ليس يصدق عليه جاهل بالهندسة كما يصدق على من لا يعلمها من الناس الطبيعيين » . أيضاً النصّ ورقة ١٥٥ ب : « وأعني بقولي الأول كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ، والموسيقار مالا يستعمل صناعة الموسيقى . . . حين يستعمل اللحن » . وأيضاً ورقة ٢٢٠ ب : « فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفطة وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة ، إلا أن النبات أعطي كماله الأخير ولم يعط الكمال الاول مفرداً ولذلك لم يوجد للنبات حس ، فان الحس كمال أول ، وكماله الأخير أمور غير محدودة بل هي بالذات غير متناهية وإنما تتناهى بالعرض .

(٤) راجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب : « إن النفس هي الاستكمال الاول » . وقارن أرسطو:
Arist : De Anima II. 1. 412 b 5.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويتبين ان النفس من المتفقة أقوالها . فان قولنا « استكمال » يقال بتشكيك [١] ، وكذلك قولنا « جسم » وكذلك قولنا « آلة » ؛ فالنفس إذاً يقال لها بالنحو من التشكيك الذي يقال به الضعيف والكثير وما جانسه . فلذلك يجب أن نفصل فيقال ان النفس الغاذية هي استكمال الجسم الآلي المغتذي ، والحساسة استكمال الجسم الآلي الحاس ، والمتخيلة هي استكمال الجسم الآلي المتخيل . وأما الناطقة فالنفس يقال عليها بنوع من الاشتراك أظهر من هذه .

وكل علم على ما يقوله أرسطو حسن جميل [٢] . غير أن بعضه أشرف من بعض ، وقد عددت مراتب شرف العلوم في مواضع كثيرة . والعلم بالنفس يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية بأنواع الشرف كلها . وأيضاً فان كل علم مضطر الى علم النفس [٣] فليس يمكننا الوقوف على مبادئ العلوم ما لم نقف على النفس ونعلم ما هي بالحد على ما بيّن في مواضع أخر . وأيضاً فإن من الأمور الذايعة أن من لا يوثق بأنه يعرف حال نفسه فهو أخلق أن لا يوثق به في معرفة غيره . ونحن إن لم نعرف حال أنفسنا وما هي وإن لم يتبين لنا ما يقال فيها هل قيل على الصواب أم لا يوثق [٤] بذلك ، فنحن أحرى أن لا نثق بما يتبين لنا في سائر الأمور .

وأيضاً فإن العلم بالنفس يكسب للناظر قوة على أخذ مقدمات لا بكل العلم الطبيعي دونها . وأما الحكم المدنية فلا يمكن أن يكون القول فيها على نظام قبل المعرفة بأمر النفس .

---

(١) الاسم إن كان حصول معناه في بعض الافراد أولى وأشد من الآخر كالوجود بالنسبة الى الواجب والممكن فهو عند المنطقيين مشكك ، والحال تشكيك ومعناه اظهار الشك ويستعمل للاشتراك والابهام ، انظر محمد علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٧٨٠ ، أيضاً Goichon : Lexique p. 162 .

(٢) قارن أرسطو : Arist, De Anima. I. 1. 402 a .

(٣) قارن أرسطو Arist : De An. I. 1. 402 a 4 .

(٤) المخطوطة : لاوثيق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأيضاً فان العلم يشرف إما بالوثاقة وهو أن تكون أقاويله يقينية ظاهرة ، وإما بشرف الموضوع وإعجابه كالحال في علم حركات النجوم . وعلم النفس فقد جمع الحالين معاً . وأخلق بعلم النفس أن يكون أشرف العلوم جميعاً ما خلا العلم بالمبدأ الأوّل . فيشبه أن يكون ذلك بوجه آخر مباينا [١] لسائر العلوم بحسب مباينة الموجودات [٢] عنه أيضاً . وأيضاً فان العلم بالمبدأ الأول لا يمكن ما لم يتقدم العلم بالنفس [٣] والعقل وإلا كان معلوماً بوجه أنقص .

وأكمل الوجوه التي يعلم بها المبدأ الأول العلم الذي يستعمل فيه القوة التي يفيدها علم النفس .

والعلم بالشيء ينسب إليه أنواع من النسب [٤] أولاها وأحراها بالتقدم علم [٥] ما هو ، والآخر علم لواحقه الذاتيـة الخاصة به ، والثالث (ورقة ١٤٠ ب) علم لواحقه الذاتية العامة [٦] — علم على سبيل الاستعارة .

---

(١) المخطوطة : مباين .

(٢) المخطوطة : مبانيه للموجودات .

(٣) وكتب ابن سينا في شرحه على كتاب النفس لأرسطاطاليس : (عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ص ٧٥) أما معرفتها في العلم الطبيعي فظاهر لأنها تعرف أحوال الحرث والنسل ، ولأن الماء أيضاً تحرك بالنفس . . . . وأما في العلم الالاهي فلأن من النفس يتوصل الى معرفة الأمور المفارقة وتصور كيفية الإدراك بالعقل .

(٤) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٠٩ الف و ب . « والعلوم اليقينية ثلاثة : أحدها اليقين بوجود الشيء فقط وهو علم الوجود ، وقوم يسمونه علم انّ الشيء . والثاني اليقين بسبب وجود الشيء فقط ، وقوم يسمونه علم لِمَ الشيء . والثالث اليقين بها جميعاً » .
قارن أرسطو : Met. III. 2. 996 b 14; 1030 b 20; 1086 b 5; 1086 b 33; 999 b 26. Anal. Pos. I. 11; II. 19. 100 a 6; I. 24. 85 b 13; Zeller: Arist. Vol.I. 194.

(٥) المخطوطة : على .

(٦) المخطوطة : العامية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وعلم ما الشيء [١] إما [٢] غير تام ، وهو أن يعلم بأحد أجزاء حده [٣] التامة — وهذا أصناف ، وتلخيص أصنافه في غير هذا الموضع — وإما تام وذلك أن يعلم بما يدل عليه حده .

والحد يقال بتقديم وتأخير على معان يشترك كلها في وجودها مساوية في الحمل على الشيء فهو لذلك خاصة بالشيء . والمقولة تتأخر هي بتأخر كل ما ألّف من أشياء لا يتقوم بها الشيء ، وقد تبين في غير هذا الموضع أن الأشياء المقومة للشيء هي أسبابه [٤] . والحدود المتأخرة هي <لا> تأتلف من أسباب بل إنما ألفت [٥] من اللواحق ، وهذه قد تكون بعيدة وقريبة [٦] وتكون ذاتية وغير ذاتية .

والحد الذي يقال بتقديم هو ما ألّف من الأسباب وهذا أيضاً أجناس كثيرة ، منها ما يؤلف من الأسباب البعيدة ومنها من القريبة ، وهو أخلق أن يكون حدا .

---

(١) المخطوطة : لشيء .

(١) راجع النصّ نفسه . الصفحة الآتية : وأيضاً فان من العلوم ..... أوّلا علم الشيء .

(٢) المخطوطة : ما .

(٣) قارن أرسطو Ana. Pos. III. 10. 93 b 29 .. وابن رشد عرف الحد فقال : « هو قول يعرف ماهية الشيء بالأمور الذاتية التي بها قوامه » تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدر آباد ص ٤٤ .

(٤) قارن أرسطو Arist. Phys. II. 3. 194 b 23 .

(٥) المخطوطة : اللفت .

(٥) إن الكاتب غلط في كتابة « التّفت » مرة بعد أخرى ، فكتب « اللفت » في سائر المواضع : ورقة ٩٠ الف : فلذلك اللفت (الفت) من أمثال هذه .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢١١ ب و ٢١٢ الف : « وكل واحد من هذه (أي الأسباب) إما قريب وإما بعيد .... فان السبب الذي بالذات لا بد أن يكون قريباً أو بعيداً أو أعم أو أخص أو بالقوة أو بالفعل » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والأسباب بالجملة أربعة [١] : المادة والفاعل والصورة والغاية . وهذه قد تكون خاصة وقد تكون عامة بأن تجنس صورة لكنها عامة . والأحرى أن يكون حداً بالتقديم ما ألّف من الخاصة [٢] . وكذلك قد تكون بالقوة وقد تكون بالفعل . والأحرى أن يكون بالتقديم ما ألّف منها بالفعل .

وهذا الصنف من الحدود إما أن يكون معلوماً بنفسه فيكون معطى ، وإما أن يكون مستنبطاً ، والاستنباط إما بطريق القسمة أو بطريق التركيب ، كما بيّن في غير هذا الموضع [٣] . وأمثال هذه الحدود تجري مجرى الحدود والمعطيات [٤] ، وإما أن يستعمل في استخراجها البرهان المطلق ، وهذه ثلاثة أصناف [٥] ، إما أن يكون نتيجة برهان أو مبدأ برهان أو يكون برهاناً متغيراً بالوضع [٦] ، وهو أكمل الحدود وأولاها بالتقديم .

وأما الأدلّة [٧] فانها تفيد أجزاء الحد بالعرض لا بالذات . وقد لخصت هذه كلها في انالوطيقا الثانية .

---

(١) ابن باجة ، السماع ورقة ٥ ب : « ووجد العلم بوجودها أولا في الثلاثة التي هي المادة والصورة والفاعل بينا ، ووجد الرابع هو الغاية مشكوكاً فيه . ورقة ٢١١ ألف : فقال والأسباب أربعة فعددها » . قارن أرسطو : Arist. Phys. II. 3. 195 a 15; 194 b 23 — 195 b 21; Met. w. 2; An. Pos. 94 a 20.

(٢) قارن أرسطو : Arist.An. Pos. II. 13. 97 b 25 — 30 .

(٣) ابن باجة كثيراً ما يشير الى طرق الاستنباط ، راجع الحيوان ورقة ٩٢ الف : « فأسباب الشيء قد يدرك بالحس وقد يدرك بالقول وذلك إما بالتقسيم أو بالتركيب أو بالبرهان أو بالدليل » . الآثار العلوية ورقة ١٧ ب فان الحدود كما قيل في انالوطيقى تؤلف إما بطريق التقسيم أو بطريق التحديد أو بطزيق البرهان . وهذه الطريق غير طريق كتبها بقراطيس » . قارن أرسطو : An. Pos. II. 5. 91 b 12; Phys. VIII. 1, 252 a 24 وابن رشد : السماع ص ٢١ ، حيدر آباد .

(٤) قارن أرسطو An. Pos. I. 2. 72 a 15 — 24; II. q. 93 b 21 .

(٥) أرسطو : Arist : An. Pos II. 10. 94 a 21 .

(٦) أرسطو : An. Pos. II. 10. 94 a 2, a 21 .

(٧) الدليل عرفه أرسطو بأنه قضية برهانية تثبت بالضرورة أو بالاطلاق An. Pos. II. 27. 70 a 7

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذ كنا نطلب في النفس هذا النحو من العلم ، وأخلق به أن يكون مرامه صعباً ، إلاّ أنه وإن كان صعباً فليس بغير ممكن .

وأما أن تكون النفس ليست من المعطيات من حدودها فذلك بيّن . وأما أن تكون من المستنبطة حدودها فذلك بيّن .

وأيضاً فان من العلوم التي تتلو (١) أولاً علم ما الشيء (٢) وكأنها كمال له . فهو ان يعلم هل ذلك الشيء واحدٌ أم ليس بواحد . فإن كان واحداً فهو ذو أجزاء ، أم ليس بذي أجزاء وإن كان ليس بذي أجزاء فهل هو ذو قوى أو هو قوة واحدة ، وهذا كله يجب أن يطلب في علم النفس (٣) . فان هذه كلها آراء لمن تقدم . فان من تقدم قد رأى أن النفس تدل على كثير على نحو من أنحاء المشككة أسماؤها . ومنهم من رأى أنها ذات أجزاء كثيرة على طريق الانفصال على ما يراه ديقراطيس (٤) ومن يقول بالأجزاء (ورقة ١٤١ ألف) . ومنهم من رأى أنها واحدة ذات أجزاء بالموضوعات على ما يراه جالينوس الطبيب (٥) .

---

(١) المخطوطة : تتلوا .

(٢) قارن أرسطو : De Anima. I. 1. 402 a 12 .

(٣) أيضاً .

(٤) رأى ديقراطيس أن النفس جوهر مركب من أجزاء لا تنقسم ولا تنفصل ، راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٠ ب : « أو أجزاء لاتنقسم ولا تنفصل كما يراها ديقراطيس » . قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 1; 405 a 10 .

(٥) قارن كراؤس (P. Kraus) ووالسر (R. Walzer) : Galeni Compedium Timaei Platonis ، النص العربي ص ٦ : وجعل النفس التي فيه من الجوهر الذي لاينقسم الباقي دائماً بحال واحدة ومن الذي ينقسم في الأجسام ؛ ص ٧ : ثم ان طيماؤس من بعد هذا الكلام يصف كيف تنقسم نفس العالم في جميع أجزائه ؛ ص ٩ : ثم قال فلما أتم خلق العالم قسم الأنفس وجعل عددها كعدد الكواكب وصيّر كل واحد منها في واحد من الكواكب وأراها طبيعة العالم وسنّ لها السنن وبينها لها » . أيضاً برجستراسر (Bergstrasser) : Galeni in Hippocratis De Septimanis ، ص ١٠٠ : « أعني النفس فجزّأها بأجزاء سبعة . فقال ان النفس سبعة أجزاء ، فاعطوا أنه ليس (أبقراط) وحده قال ان النفس مركبة من أجزاء شتى سبعة لكن ذكر أكثر أفاضل الفلاسفة ووجوههم شبه أفلاطون وأصحابه » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذا رأي قد كتبه فلاطن في طيماؤس [١] .

وما يجري هذا المجرى في النفس خاصة ويتشوق إليه أوّلاً حتى يكاد أن يكون الطلب لعلم النفس إنما هو من أجل هذا ـ فهو : هل هي مما تفارق أو ليست جملة مفارقة . ولذلك تجد أرسطو يقول في أول المقالة الأولى [٢] ، إن وجد للنفس فعل يختص به فيها دون الجسد أمكن أن تفارق . فانما بدأ بهذا القول قبل أن يشرع في الفحص عن هذا لأجل هذا الشوق السابق . وهذا كله مما يزيد هذا الجزء من العلم الطبيعي صعوبة .

وإذ كنا مزمعين [٣] على القول فهل هذا من النظر في الأجسام التي هي فيها أو من اللواحق التي تنسب الى الجسد [٤] الذي [٥] هي فيه ، كالصحة والمرض ، أو من الأفعال التي تنسب اليها كالغضب والرضا [٦] . فانها إن لم تكن مفارقة أصلاً فكل الأفعال المنسوبة اليها مشتركة من الجسد إلا أن بعضها من أجلها وبعضها إما من أجل [٧] الجسد أو به [٨] .

ولما كان الحد على ما تبيّن في أنالوطيقا الثانية [٩] لا يمكن أن يأتلف حتى

---

(١) انظر ورقة ١٨٧ ب (ابن باجة) : « ولذلك لما رأى فلاطن إن النفس مفارقة ؛ مفارقة معنى ، ولزم عن هـذا أن تكون أنفس بلا نهاية بالفعل » قارن أفلاطون : Plato : Timaeus (Trans.), Jowett, Vol. III. 35, 37 ؛ أرسطو : Arist : De An. I. 2. 404 b 16 .

(٢) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 10 . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر أحمد الأهواني ، ص ١١ .

(٣) كثيراً ما يستعمل ابن باجة « أزمع على » و « أزمع ان » ، الحيوان ، ورقة ٩١ ب : مزمعاً أن يكون ، ورقة ٩١ الف : مزمعاً أن يجري ؛ تدبير المتوحد ص ٦١ . والتعليق ١٠ .

(٤) المخطوطة : الحد .

(٥) المخطوطة : الى .

(٦) المخطوطة : المرضي .

(٧) المخطوطة : داحل .

(٨) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 5—15; 403. a 28; 403 b 16; 402 a 6 .

(٩) أرسطو : Arist : An. Pos. 97 b 7; 28 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يوجد الجنس الذي يوصف به ، فانه متى وضعنا حداً لم يأتلف من جنس الشيء كان أجزاؤه مدلولاً عليها بالأسماء المشتقة . إذ لا يمكن أن يحمل أمر على شيء ما مدلولاً عليها بالمثال الأول غير الجنس ، وكان هذا الحد (١) ينبئ عن وجود أمر في موضوع لم يصرح به فكان ناقصاً ومنبئاً بنقصة . فلذلك يجب أن نفحص أولاً عن الجنس الذي يجب أن يحمل عليها وتوصف به ، لنجد به السبيل الى التحديد . فإن الجنس والفصل كل واحد منهما بوجه غير الوجه الذي به الآخر ، لأن الجنس هو الفصل بالقوة على أنه يتصور به . فهو بالقوة بنحو شبيه بالقوة التي تقال على المادة (٢) . فهو بالقوة شيء خارج عنه .

وأما الفصل فهو الحد بالقوة كما يقال ان الكل فيه أجزاؤه بالقوة . والجنس موجود في الفصل بالقوة على جهة مناسبة لوجود الجزء في الكل . هذا متى أخذ كل واحد منها بدل على جملة المجتمع ، فكان ذلك جنساً من حيث هو جنس وهذا فصلا (٣) من حيث هو فصل . فأما اذا أخذ من حيث الحد (٤) < فالجنس > نتيجة برهان والفصل مبدأ برهان أو يجريان مجراهما . وذلك من حيث هما أجزاء المحدود كان عند ذلك كل واحد منهما الحد بالقوة بأنحاء أخر على ما (ورقة ١٤١ ب) في كتاب الحروف (٥) .

---

(١) المخطوطة : داحل .

(٢) شبّه ابن باجة الجنس بالمادة والفصل بالصورة . فالمادة وصفها أرسطو بالقوة والصورة بالفعل ، قارن أرسطو :

Met. 1043 a 19 : « For the formula that gives the differentiae seems to be an account of the form and the actuality, while that which gives the components is rather an account of the matter ». Also De An. II 1 412 a 10.

(٣) المخطوطة : فصل .

(٤) المخطوطة : الجسم .

(٥) راجع أرسطو : Met. Z 12. 1037 b 29 Sq. ؛ وابن رشد : تفسير مابعد الطبيعة ، بيروت ، ص ٩٤٧ و ٩٥١ و ٩٥٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما كانت الطرق المسلوكة في استخراج الحد على ما تبين في أنالوطيقا الثانية ثلاثاً [١] : طريق التقسيم ، وطريق التركيب ، والطريق المستعمل فيها البرهان ، فأيّ الطرق يجب أن تسلك [...] حداً للنفس ؟ فطريق التقسيم لا يمكن فيها [٢] ، إذ الجنس الذي تترتب فيه ليس بمعروف فإنه لو كان ظاهراً بنفسه لما وقع التنازع فيها هل هي جسم أم لا .

وأما الطريق المستعمل فيها البرهان فذلك أيضاً غير ممكن فيها ، فان التصورات التي تصورت بها ليست واحدة [٣] ، وبعضها مركب من أشياء ليس بعضها لبعض بالذات ولا هي لازمة عن مقاييس فيمكن أن ننظر أوثقها فنستعمله . وفي الجملة ليس فيها لدينا سبيل نقدر بها على تقديم بعضها على بعض . وأيضاً فانا [٤] متى تأملنا تلك التصورات التي اقتسمتها الأقدمون من المتفلسفين ، لم نجدها لامتناقضة ولا متلازمة ، لكن يظهر منها لمن تأملها أن النفس مما يقال باشتراك . فإن أمكن في تصوراتها أن تعقل ويُطلب البرهان عليه - إن يكن [٥] - إنما وجدنا حداً من حدودها يقال عليه النفس ، ولم نجد المعاني التي يقال عليها النفس . فان النفس إن قيلت باشتراك فانما يقال بالنوع المشكك فيه . فلم يبق إلا طريق التركيب .

وظاهر أن طريق التركيب انما استعمل فيها لسبق العلم بوجوده ، والنفس من الأمور الظاهرة الوجود ، وطلب تبيين وجودها شبيه بطلب وجود الطبيعة . وهو من فعل مَن لا يعرف الفرق بين المعلوم [٦] بنفسه والمعلوم [٦] بغيره . فان

---

(١) المخطوطة : ثلثة .
(١) راجع التعليق ٥٢ .
(٢) قارن أرسطو De an I. 1 402 a 18 — 20 .
(٣) المخطوطة : واحداً .
(٤) المخطوطة : فان .
(٥) المخطوطة : يكون .
(٦) المخطوطة : العلوم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من المعلومات المعلومات الأول ، ان الفرس والانسان ذو نفس ، لكن هذا النحو من الفكرة إنما يلتئم (١) بالنظر في كل ما يقال عليه النفس ، فلذلك ينظر في أنفس جميع الحيوان ، لأن في صور النبات موضع فحص .

وهذا النحو من النظر لم يكن من تقدم أرسطو بنظره . فان قصد المتقدمين (٢) إنما كان في نفس الإنسان خاصة حسب ما يرشد اليه نظرهم في الأمور المدنية التي كان الفحص في ذلك الزمان مقصوراً عليها فليس انما تنظر أنواع الأنفس لهذا (٣) الغرض فقط (٤) بل لأن العلم بكل واحد من الأنفس جزء من العلم الطبيعي .

فنقول : إن كل نوع من الحيوان فهو جسم مركب غير متشابه الأجزاء (٥) ولا متصلها ، بل أجزاؤه منفصلة بنهايات تخصها ، يلقى بعضها بعضاً إمّا على التمام وإمّا على مفصل ، وهو إذا كان أحدهما يتحرك في الآخر ، فان هذا شامل لكل حيوان . وأيضاً فان من (ورقة ١٤٢ الف) الأمور المعروفة ان كل حيوان فهو متحرك حساس ، وهو يحس بأجزاء تتحرك [وتحس] فهو مؤلف منها .

وبيّن أن الحيوان من جنس جسم وصورة ، فأما على [أي جهة] يقال انه مؤلف من جسم وصورة ، وهل النفس هي الجسم أو الصورة ، فذلك بيّن عند

---

(١) « التأم » ، كثيراً ما يستعمله ابن باجة ، راجع تدبير المتوحد ص ٣١ ؛ السماع ، ورقة ٩ الف « أمر رابع لا يلتئم وجود الشيء إلا به » ؛ « فان هذه متى وجدت التأم بها » ؛ ورقة ٨ ب : « لا يلتئم وجود بعض الأجسام » .

(٢) راجع أرسطو : De An. I 1, 402 b 4 .

(٣) المخطوطة : هذا .

(٤) الاشارة الى مطالعة العلم المدني .

(٥) ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٣ ب : « وأما مركبة متشابهة الاجزاء كالذهب والنحاس » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من يشق بنظر نفسه . وقد بحث عن ذلك الاسكندر في كتابه في النفس (١) وبيّنه فليؤخذ من هناك .

واستقرّ الأمر على ما هو بين ان النفس هي صورة لمثل هذا الجسم (٢) ، واذا استعملنا التقسيم الذي خصصناه قبل لزومُ هذا . وذلك أن النفس استكمال لجسم طبيعي آليّ (٣) ، فهذا يشمل كل نفس وكل قوة من قواها سواء كانت ذات قوى أو ذات أخرى .

ولما كان قولنا « استكمال » مما يقال بتشكيك ولم يكن قولنا « طبيعي آليّ » مترادفاً (٤) كقولنا « الكلب النباح » في الكلب (٥) ، فبيّن أن النفس مما

(١) العبارة شاهدة على أن الكتاب كان موجوداً باللغة العربية في عهد ابن باجة . وأظن أن ابن باجة أراد شرح الفارابي على تلخيص كتاب النفس للاسكندر الافروديسي الذي ذكره القفطي (تاريخ ، ليبسك ، ص ٢٧٩ تحت الفارابي) تحت عنوان « كتاب شرح الاسكندر في النفس » . فانه يعتمد على كتب الفارابي في العلوم الفلسفيه كما يظهر من قوله ، ورقة ٢١٩ ب : « وكرر القول فيها ابو نصر ومكانه من هذا العلم مكانه . لكن لا يوجد في جميع كتبه التي وصلت إلى الأندلس هذا النحو من النظر » .

(٢) راجع أرسطو : De An. II. 2. 414 a 16 ؛ ولقد أوضح ابن سينا في الشفاء (ورقة ١٥٦ الف ، مخطوطة بودليانا) فقال : « فالنفس كمال أول . ولأن الكمال كمال الشيء فالنفس كمال لشيء ، وهذا الشيء هو الجسم وليس هذا الجسم لذي النفس كماله » .

(٣) ولقد صرّح ابن سينا ان النفس « ليست كمال الجسم الصناعي كالسرير والكرسي وغيره ، بل كمال الجسم الطبيعي ، ولا كل جسم طبيعي ، فليس النفس كمال أرض ولا نار . بل هي في عالمنا كمال جسم طبيعي يصدر عنه كماله الثانية بآلات يستعين بها في أفعال الحيوة التي أولها التغذي والنمو ، فالنفس التي نحدها هي كمال أول لجسم طبيعي آلي له أن يفعل أفعال الحيوة » أنظر أيضاً التعليق ٣٥ و ٣٨ .

(٤) المخطوطة : مرادفا .

(٥) اصطلاح « طبيعي آلي » ليس مثل اصطلاح « الكلب النباح » ، فان الثاني مركب من المرادفين لان « النباح » ليس هنا فصل الكلب فقط : ابن باجة ، السماع ، ورقة ٤٨ ب : فقولنا المتحرك الذي ليس واحد من هذين مركب تركيب ترادف وتعاون ، كقولنا « الكلب النباح » لأن النباح « فصل الكلب » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يقال بتشكيك [١] وانها من المتفقة أقوالها .

وانها ليس هناك طبيعة واحدة تشتمل على جميعها [٢] فانها [٣] لو كانت متجانسة لكانت الأفعال متجانسة ، وأفعال الحيوان هي اغتذاء وحس وحركة وتخيل ونطق . وليس اثنان من هذه متجانسة فتكون القوى عليها متجانسة ، بل بعضها يتقدم بعضاً كالاغتذاء والحس ، وبعضها يناسب بعضاً كالحس والتخيل . وكذلك القوى والنفس بتقديم وتأخير وتناسب . فلذلك لا يمكن أن يطابق بالحد جميع ما يقال عليه النفس بنحو واحد ، ولذلك لا يمكن أن تستعمل فيها الطريقة [٤] البرهانية .

وإغفال هذا النظر أحد الأسباب الذي له ذهب على الأقدمين أمرُ النفس . فإن الأقدمين كان الجميع منهم متفقين على أنها جوهر [٥] ، فلذلك كانوا

---

(١) راجع النص ، والتعليق ٤٠ . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٢ .

(٢) قارن أرسطو : Arist : De Anima II. 2. 413 b11 .

(٣) المخطوطة : فانه .

(٤) المخطوطة : الطريق .

(٥) عند صاحب التعريفات هناك خمسة جواهر تحت كل حقيقة ـ الهيولى ، الصورة ، الجسم ، النفس ، والعقل ـ المادة الأولى جوهر يمكن له الدوام أو عدم الدوام ، وتقبل الصور الجسمية والنوعية ، الصور الجسمية تدركها الحواس (على الفوز) ، والجسم جوهر قابل للأبعاد الثلاثة او الجواهر البسيطة . النفس او الروح الحيواني جوهر بسيط يمين قوى الحياة ، ويقدر على الاحساس وحرية الفكر ، وهو متصل بالجسم ، والعقل جوهر مجرد من المادة ، يتعلق بالجسم ويدبره . دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٠٢٧ (بالانكليزية) والفارابي عرف الجواهر الأولية بأنها أفراد متشخصة لها وجود بذاتها ، والجواهر الثواني هي أنواع واجناس توجد بوجود الافراد ، (انظر مسائل متفرقة ، حيدر آباد ، ص ٨ – ٧ ، وديتريصي ، ص ٨٩) . وابن سينا كتب فصلا مستقلا في الشفاء على هذه المسألة فقال : « ان النفس داخلة في مقولة الجوهر » ... وأخيراً قال : « فالنفس إذن ليست من الأعراض التي لا يختلف بها الأنواع ولا يكون لها مدخل في تقويم الموضوع ، فالنفس إذن كمال كالجوهر لا كالعرض ، –

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يطلبون أن يجعلوها تحت أنواع الجوهر ، فقال بعضهم انها نار [١] ، وقال آخرون انها دم أو هواء [٢] . وبعضهم [٣] لما استحال عنده أن يكون جسما رام أن يجعلها تحت مقولة أخرى . وبالجملة فكان الجميع منهم يرتبها في المقولات العشر .

ولما تبيّن لفلاطن انها يجب أن ترتب في الجوهر ، وتبيّن له أن الجوهر يقال على الهيولى [٤] وهي الجسم وعلى الصورة [٥] ، وتبين له أنّ وضعها جسماً محال ، رامَ تحديدها من جهة مايخصها . ولما كان يضع أنّ صور الأجسام المستديرة أنفس نظر فيما تشترك فيه هذه كلها ، فوجد الحس يختص

– وليس يلزم هذا أن يكون مفارقاً أو غير مفارق ، فانه ليس كل جوهر بمفارق فالهيولى مفارقة ولا الصورة » . (ورقة ١٥٨ ب . Bodl. Ms. Poc. 125). وفي خزانة المجمع الملكي الآسيوي ، كلكته ، مخطوطة عنوانها : « رسالة للأرسطاطاليس في النفس » ، والرسالة منسوبة لابن سينا في بعض من نسخها الموجودة بخزائن لندن وليدن ، وقد نشرتُ هذه الرسالة مع ترجمتها الانكليزية في « أرمغان علمي » ، لاهور ، ١٩٥٥م ، تحت عنوان A Treatise on the Soul ascribed to Ibn Sina ، وهي محتوية على فصل في أن النفس جوهر ، واليك الفصل كاملاً : « الفصل الثالث : كل قابل للمتضادات وهو بالعدد واحد فهو جوهر ، والنفس قابلة للبر والفجور والجرأة والجبن متضادات ، فالنفس جوهر ، وأيضاً فان كل متحرك للجوهر من ذاته هو جوهر ، والنفس محركة للجسم الذي هو جوهر فالنفس إذاً جوهر ، وأيضاً فان النفس جزء من الجوهر الذي هو الحيوان ، لأن كل حيوان نفس وجسم ، وجزء كل جوهر جوهر فالنفس إذن جوهر » .

(١) راجع التعليق ٥٨ .

(٢) قارن أرسطو : De An. I. 2. 405 a 22; 25; 405 b1 sq .

(٣) لعله أشار ابن باجة إلى أفكار انكساغورس (De An. I. 2. 405 a 14) . انبدقلس (De An. 404 b 11) ، وغيرهما .

(٤) المخطوطة : المقولة .

(٥) قارن الفارابي : مسائل متفرقة ، حيدر آباد ، ص ١٩ . ديتريصي ص ٩٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالحيوان [١] ووجد الحركة تعمّها ، كلها فلذلك حدها بأنها « شيء محرك ذاته » [٢] ، فان الشيء دلّ به هنا على ما يدلّ قولنا « موجود » . وانما حدّها [٣] كذلك لأنه كان يرى ان كل محرك فهو متحرك ، إذ كان لا يمكن (ورقة ١٤٢ ب) عنده أن يحرّك شيء دون أن يتحرك [٤] ، وقد فحص عن هذا القول في السابعة من السماع [٥] .

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An I. 2. 403 b 25 .

(٢) كما قال ابن باجة : ورقة ٣٣ ب : « فان كان محرك مّا أولّ يحرك لا بأن يتحرك عن غيره فذلك متحرك بذاته . قال هنا انتهى النظر بافلاطون ولذلك رسم النفس أنها شيء يحرك ذاته ، غير أن القول لم يلزم أن مثل هذا لا يحركه غـــيره بالاطلاق ، بل انما لزم عنه أنه لا يحركه محرك خارج عنه فانما ألزم محالاً مّا ؛

قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 20; 406 b 11; 406 b 27; Phys. VIII. 9. 265 b 33.

(٣) المخطوطة : حدّه .

(٤) وابن باجة يبين في السماع الطبيعي (ورقة ٣٣ ب ، وقد نقل تحت التعليق ٨٦ .) إن أفلاطون إنما قال بان النفس شيء يحرك ذاته ولكن هذا القول لا يلزم منه ان مثل هذا لا يحركه غـــيره بالاطلاق . بل الحاصل أنه لا يحركه محرك خارج عنه وهذا كما ترى ليس بـديد ، فكل ما يكف عن الحركة بكف غير فهو متحرك من غيره ، ففكر أرسطو في الأمر وذهب إلى أن كل متحرك فمحركه غيره بالاطلاق ؛ انظر أيضاً ورقة ٣٥ ب : « وأرسطو لما نظر في هذه الأمور ووجد قولنا كل ما يكفّ عن الحركة بكف غيره (المخطوط : بكفاف غيره) فهو متحرك من غير بينة بنفسها ظاهرة ، ثم تأمّلها من هذه الجهات تمم ما كان أفلاطون وقف دونه فوضعها وأنتج ان كل متحرك فمحركه غيره بالاطلاق » .

(٥) راجع ابن باجـــة ، السماع الطبيعي ، ورقة ٥٣ ب ؛ أرسطو : VIII. 5, 256 a 13; I. 241 b 24 sq.; Phys. VII. 2. 243 a 13

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأما مناقضة الآراء المكتوبة في النفس فقد تقصّى ذلك أرسطو في الأولى من كتابه في النفس [١] فلنضع هذا التصور كذلك مجملاً .

فأما الفحص عن النفس [٢] فإن أرسطو يشرع فيه على هذ النحو الذي نقوله : لما كانت الأنفس بعضها متقدمة بالطبع وبعضها متأخرة ، وأشدها كلها تأخّراً النفس المتخيلة ، فإن الحس يتقدمها .

وقد يُظن [٣] أنه يكون حيوان لا تخيّل له كالدود والذباب [٤] ، وان كان له تخيل فليس بمفارق للحسّ ولا هو محصل .

وأقدم قوى الحس كلها اللامسة ، وقوة الحسّ تتقدمها القوة الغاذية ، فالقوة الغاذية أقدم قوى النفس كلها .

فأما القوة الناطقة وان كانت نفساً فهي أشد تأخّراً في الطبع على جهة ما يتأخر الكامل عن الناقص في الطبع .

فلذلك يبدأ أرسطو [٥] في الفحص عن النفس الغاذية ، وهذا النوع من النفس له قوتان : إحداهما قوة النموّ والأخرى قوة التوليد . فالقوة الغاذية تتقدم الجميع ، فهي إذن أقدم قوى النفس .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. I. 3. 406 a 1 .

(٢) والظاهر أن ابن باجة أراد بالأنفس ههنا قوى النفس .

(٣) وابن باجة لا يرجح هذا الرأي ويوافق أرسطو في قوله ان الدود مثلاً له حسّ وحركة وأيضاً تخيّل ونزوع . كما يستفاد من قوله « قد يظن » . راجع أرسطو : De An. II. 2. 413 b 20 — 32; 414 a 1; 29 ؛ وأيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٧٤ .

(٤) قارن ابن رشد : تلخيص النص ، الأهواني ص ١٣ .

(٥) قارن أرسطو : Aristotle : De Anima. II. 4. 415 a 23 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net